فرانز كافكا... حين كتبَ الإنسانُ ليهرب من نفسه

في زاويةٍ معتمة من تاريخ الأدب، جلس فرانز كافكا يكتب، لا طمعًا في المجد، بل اتّقاءً لانفجار ذاته. لم يكن قلمه أداة تعبير، بل صمامًا لروح تتخبط في دهاليز المعنى، روح لا تطلب الخلاص بل تُؤرِّخ التيه.

كافكا، ذاك الذي نسج عوالمه من ضباب اللامعقول، لم يكتب ليفهمه الناس، بل كتب ليُنجو بقايا عقله من طوفان الإدراك. أبطاله ليسوا شخصيات، بل أطيافٌ تمشي على حدّ السكين بين الإرادة والعجز، يصارعون منظومات لا تُرى، ويُحاكمون بجرائم لا تُفصح عن نفسها.

في روايته "المحاكمة"، لا نجد حبكة، بل نغرق في جرحٍ مفتوحٍ ينزف أسئلة: ما الجُرم؟ من القاضي؟ أين العدالة؟

وفي "المسخ"، لا نعرف من المتحوّل: سامسا الذي صار حشرة، أم العالَم الذي انقلب عليه؟

لغة كافكا ليست معقدة بظاهرها، لكنها تخبئ خلف البساطة قنابل فلسفية موقوتة. كلماته تشبه المرايا القديمة، كلما حدقتَ بها أكثر، كلما انكسرت صورتك وظهرت شقوقٌ في ذاتك.

أراد أن تُحرق كتاباته، لأنها كانت فضيحة روحه. لكنها لم تُحرق، فصار لنا مرآة نرى فيها هشاشتنا، وعارنا، ووحدتنا المقنّعة بابتساماتٍ اجتماعية جوفاء.

كافكا لا يُقرأ... بل يُتجلّى.

هو سؤالٌ دائم التكوّر، لا يبحث عن إجابة، بل عن قارئ يتجرأ أن ينظر إليه دون أن يرمش